دراسات

ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.43].

اللغة اللاتينية في المصادر العربية الإسلامية
ق٣–١٠هـ/ ١٠–١٦م

يوسف المساتي

باحث دكتوراه في التاريخ وعلوم الآثار والتراث
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – عين الشق
جامعة الحسن الثاني – المملكة المغربية

مُلَخّصْ

يندرج هذا المقال ضمن الأبحاث الرامية إلى نقد السردية التاريخية السائدة، وإعادة تمحيص الروايات التاريخية الرسمية، عبر طرح تساؤل أساسي حول اللغة اللاتينية، وقد انطلقت من فكرة جاك لوغوف التي قامت على تفعيل التقابل بين الشرق والغرب، فإن المقال يبحث عن الوجود الأوروبي ممثلاً باللغة اللاتينية في المصادر العربية الإسلامية، وذلك من خلال دراسة حضور اللغة اللاتينية في المصادر العربية الإسلامية منذ بداية عصر التدوين وحتى القرن السادس عشر الميلادي، حيث يرصد مختلف الإشارات الواردة لها في هذه المصادر، وارتباطاتها الجغرافية أيضًا، ويتتبع تطور حضور اللغة اللاتينية في المصادر العربية الإسلامية كرونولوجيا. كما يرصد المقال ارتباط اللاتينية في المصادر العربية الإسلامية بالأندلس وشمال أفريقيا، عوضًا عن الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط، إضافة إلى ما يعتري السردية اللاتينية من ثغرات ومشاكل، إذ أن الخط اللاتيني لم يعرف ظهوره بشكل منسجم ومتسق في المصادر العربية إلا بعد القرن السادس عشر الميلادي، وما يعتبر وجودا لاتينيا يظل محط كثير من علامات الاستفهام والتساؤل.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٣٠ يوليو ٢٠٢٣
تاريخ قبـول النشـر: ٢٩ أغسطس ٢٠٢٣

كلمات مفتاحية:

المصادر العربية؛ اللغات القديمة؛ اللغة اللاتينية؛ الأندلس؛ أفريقيا

معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/KAN.2023.340687

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

يوسف المساتي، "اللغة اللاتينية في المصادر العربية الإسلامية ق٣ – ١٠هـ/ ١٠ – ١٦م".- دورية كان التاريخية.- السنة السادسة عشرة- العدد الواحد والستون؛ سبتمبر ٢٠٢٣. ص ٨٤ – ٩٦.

Corresponding author: elmoussatiyoussef@gmail.com

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

نُشر هذا المقال في دَّورِيةُ كَان التَّارِيْخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

مُقدِّمَةُ

هل ولدت أوروبا في العصر الوسيط؟ كانت هذه الجملة عنوان كتاب صدر سنة ٢٠٠٣ للمؤرخ الفرنسي جاك لوغوف، والذي سعى فيه منذ البداية إلى إبراز أن "أوربا بدون تاريخ ستكون يتيمة وبئيسة، لأن اليوم يخرج من الأمس، والغد ينبثق من الماضي"[١]، كاشفًا بذلك عن توجهه العام الهادف إلى تأكيد أن فكرة الاتحاد الأوروبي، ليست وليدة منتصف القرن العشرين، بل إنها تعرف جذورها في أوروبا الوسيطية، وهو ما أعلن عنه صراحة في موضع آخر بالقول أن: "الانخراط الملتزم في عملية تشييد أوروبا يجب أن يتم في إطار معرفة عميقة بالماضي ونظرة استشرافية للمستقبل"[٢]

ولأن التاريخ معرفة، والمعرفة سلطة (كما وضح ذلك فوكو ودريدا) تشكل وعي المجتمعات بذاتها وبالآخر، فإن كتابة التاريخ، كانت في شق منها ممارسة لنوع من السلطة والهيمنة، لهذا فإن فكرة جاك لوغوف أحد أعمدة مدرسة الحوليات التاريخية (إلى جانب بروديل وآخرون)[٣] ليست جديدة، فآباء التاريخ الكولونيالي اعتمدوا على التاريخ من أجل إضفاء الشرعية على الحملات الاستعمارية، وعصر النهضة اعتمد على التراث اليوناني الروماني وغيرهم كثير. وإذا كان الاستعمار المباشر قد انتهى فإن أشكاله الأخرى مستمرة، ومن بينها استعمار الوعي التاريخي وتزييفه، من هنا يصبح أحد أدوات التحرير هو الاتجاه صوب الهامش او التابع (بتعبير مدرسة "دراسات التابع الهندية) أو صوب ما أسماه بول ريكور بالذاكرة العادلة، التي ترد الاعتبار إلى ما تم نسيانه وتزييفه وتعيد تركيب التاريخ من جديد.

في هذا السياق، وما دامت بداية المقال كانت مع جاك لوغوف فسيكون سؤاله هو المنطلق لها أيضًا، من خلال طرح السؤال هل وجدت أوروبا الوسيطية؟ وبما أن لوغوف أكد أن العصر الوسيط عرف تفعيل مقولة التقابل بين الشرق والغرب، وبما أن جزءا من مشروع مدرسة المراجعين الجدد، ذهب إلى البحث في بدايات الإسلام في المصادر غير الإسلامية، فسيكون من المشروع رصد تقابل الشرق والغرب، والبحث عن الوجود الأوروبي في المصادر الشرقية أو بتعبير أدق العربية الإسلامية، وبما أن اللاتينية اعتبرت أحد أعمدة عصر النهضة، فسيكون السؤال مشروعا إذا: كيف حضرت اللغة اللاتينية في المصادر العربية الإسلامية؟

حسب السردية الرسمية يفترض أن اللغة اللاتينية شملت حيزًا كبيرًا من المجال الجغرافي الذي سيصبح فيما بعد إسلاميا، وهو ما يفترض أن يكون لهذا الأمر صدى في مصنفات المسلمين، الذين اهتموا بنقل وتدوين مظاهر شعوبهم والشعوب المجاورة لهم، حتى فيما يتعلق بالمظاهر اليومية لحياتهم وتاريخهم وغيرها، فكيف حضرت اللغة اللاتينية في المصادر العربية الإسلامية؟ ما طبيعة العلاقة بين الروم واللاتين؟ وهل يمكن اعتبار الخط الرومي هو الخط اللاتيني؟

هذه بعض من الأسئلة التي وجهت هذا المقال، والذي وظف المنهج التاريخي والوصفي من أجل محاولة الإجابة عليه، وقد تمت الاستعانة بمكتبة الشاملة التي تضم أكثر من ٨ آلاف كتاب من أمهات المصادر الإسلامية في مختلف التخصصات، إضافة إلى مراجعة المصنفات التراثية المعروفة في كتب الرحلات والجغرافيا والتاريخ بالخصوص، سواء في بلاد المشرق الإسلامي أو الغرب الإسلامي. وقد خلص المقال إلى أن الخط اللاتيني لم يعرف ظهوره بشكل منسجم ومتسق في المصادر العربية إلا بعد القرن السادس عشر الميلادي، وأن ما يعتبر وجودًا لاتينيًا يظل محط كثير من علامات الاستفهام والتساؤل، بل إن ظهور الخط اللاتيني اقترن بأفريقيا والأندلس، وأنه لا وجود لما يؤشر على وجود لاتيني سابق على هذه المرحلة.

أولاً: اللاتينية في المصادر العربية إلى حدود القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي

١/١-إشارة البكري

تغيب الإشارة للاتينية أو اللاتين، بمختلف الصيغ في المصادر العربية (المطلع عليها) على اختلاف أنواعها قبل القرن الخامس الهجري، بل حتى المصادر التي اهتمت بالفهارس، أو بالأقلام والخط، لم تشر للخط اللاتيني أو القلم اللاتيني، فابن النديم مثلا، أشار لأغلب الأقلام أو

الخطوط المعروفة، إلا انه لم يشر للاتيني، وكذلك القلقشندي.

وأقدم إشارة تم تسجيلها عن اللاتينية، وردت في كتاب "المسالك والممالك" لأبو عبيد البكري (ت ٤٨٧ ه)، وقد ذكرها مرتين، جاءت الأولى في معرض حديثه عن مدينة إشبيلية، حيث أورد: "وهي قديمة أولية، زعم أهل العلم باللسان اللطيني أن أصل تسميتها إشبال معناه المدينة المنبسطة، ويقال إن الذي بناها يوليش قيصر وإنه أول من تسمى قيصر"[٤].

أما إشارته الثانية، فقد جاءت عند حديثه عن مدينة طليطلة، حيث أورد: "ذكر مدينة طليطلة: معنى طليطلة باللطيني تولاظو، معناه فرح ساكنها يريدون لحصانتها ومنعتها"[٥].

إن التأمل في هاتين الإشارتين، يجعلنا نقف على عدة ملاحظات، أهمها:

- اقترنت إشارتي البكري بمدينتين أندلسيتين فقط، رغم أن البكري فصل في تاريخ المدن من الشرق إلى الغرب، وأورد معطيات كثيرة عنها، إلا أن الحديث عن اللاتينية ارتبط بإشبيلية وطليطلة فقط، بينما لم يشر لأي ارتباط بين اللاتينية ومناطق أخرى عرفت أيضًا (حسب السردية الرسمية) بأنها لاتينية.
- اقترنت الإشارتان عند البكري باللسان، وليس الحرف أو القلم أو الخط، وهو ما يحيل إلى اللهجة وليس إلى الكتابة.

يمكن القول إذا بغياب أي وجود لاتيني في المصادر العربية، إلى حدود القرن الخامس الهجري زمن البكري، وقد يعترض البعض على هذا الرأي، بالقول، أن اللاتين وردوا تحت اسم الروم، وأن اللسان يمكن أن يعني الخط أو القلم أيضًا، ولا يشترك أنه يعني لهجة فقط، وهو ما ينسف الافتراض السابق، لكن هذا القول مردود عليه من ستة أوجه:

الوجه الأول: أن البكري خصص فصلاً كاملاً للروم والحديث عن تاريخهم، فكان من باب أولى أن يربطهم باللاتينية واللاتيني، فلماذا صمت عن هذا الربط وهو الذي تحدث عن تاريخ الروم، وملوكها ومدنها وغيرها؟

الوجه الثاني: أشار البكري مرارًا إلى أن لسان الروم كان الإغريقية، حيث أورد عند حديثه عن طيطش: "ثم ملك بعده ابنه طيطش، فكان أحكم ملوك أهل المجوسية باللسان الإغريقي"[٦]، كما أورد حول دخول الرشيد إلى أحد المدن الرومية: "قال أبو العباس: أخبرني شبل الترجمان قال: كنت مع الرشيد حين نزل على هرقلة، فلما افتتحها رأيت حجرًا منصوبًا مكتوبًا عليه باليونانية، فجعلت أترجمه وأمير المؤمنين ينظر إلي وأنا لا أعلم"[٧]؛ تؤكد هذه الشواهد النصية أن الخط الذي كان يكتب به الروم هو اليوناني/ الإغريقي، ولم ترد الإشارة بتاتا عند البكري إلى اللاتيني، فكيف يصمت عن هذا المعطى الهام ولا يورده؟

الوجه الثالث: أن البكري يقيم تمايزا بين اللسان والقلم، فهذا الأخير يعني الخط، ودليل ذلك ما أورده البكري حول القلم المصري القديم: "قيل له: فما بال هذا القلم الذي على الأهرام والبرابي لا يفهم؟"[٨] ويضيف في نص آخر: "وقد جعل بإزاء كل تمثال، تمثال من المرمر والرخام على هيئة الصنم على حسب عبادتهم للتماثيل. (وعليها أنواع من) الكتابات لم يقف على استخراجها أحد من أهل الملل، وزعم قوم من أهل الدراية أن لذلك القلم مذ فقد من أرض مصر أربعة آلاف سنة"[٩]، كما أورد خلال حديثه عن الإسكندر الأكبر أنه: "أتى موضع الإسكندرية فأصاب أثر بنيان وعمد رخام منها عمود عظيم مكتوب عليه بالقلم المسند- وهو القلم الأول من أقلام حمير وملوك عاد[١٠]

أما اللسان عند البكري فيعني اللهجة أو اللغة، كما تدل على ذلك عدد من النصوص التي أوردها منها، ما أوردها بخصوص لسان شعيب الذي "كان عربي اللسان"[١١]، كما أورد بخصوص الألسنة: "فيقال: عند ذلك تبلبلت ألسن الناس من الفزع، فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا، فلذلك سميت بابل، وإنما كان لسان الناس قبل [ذلك] بالسريانية"[١٢]، كما أورد عن الروس: "وسكنى بروس على البحر المحيط ولهم لسان على حدة لا يعرفون ألسنة المجاورين لهم"[١٣]، ويضيف في نص آخر: "ولسان الخزر غير لسان الترك والفرس وهي لغة لا تشاركها لغة من لغات الأمم"[١٤]، ويورد في نص آخر:

"فكلموها بكل لسان علم هناك فلم تجاوب منهم أحدا"[١٥].

يبدو واضحًا من خلال هذه النصوص، أن البكري يميز بين القلم واللسان، فيعني الأول الكتابة أو الخط، بينما يعني الثاني اللغة أو اللهجة، وفي الإشارتين اللتين أوردهما حول اللاتينية اقترنتا باللسان، أي اللهجة، ولا ورود للحرف في هذا السياق، إن صمت البكري في هذا السياق يمكن ربطه بالغياب، أي غياب القلم اللاتيني؟

الوجه الرابع: ربط البكري في إشارتيه بين اللاتينية والأندلس، في حين أنه كان يقيم تمايزا بين الروم والأندلس، فكان يتحدث عنهما كمنطقتين، بل وثقافتين مختلفتين، كما تؤكد ذلك نصوص البكري عن الروم أو الأندلس التي كان يهمين فيها الجلالقة، أكثر من هذا فإن العلاقة بين الروم والجلالقة كانت عدائية وحربية، فكيف إذا يقترن ذكر اللاتيني بالأندلسي فقط؟

الوجه الخامس: ويتعلق بترتيب البكري إذ ينتقل من ملوك الإغريق بمصر والشام الى تاريخ الروم ثم يعقبها مباشرة بملوك السودان والبربر وتبقى أوروبا في الأخير، ولنا أن نتساءل عن سر هذا التدرج في الترتيب؛ إضافة لهذا فقد أورد البكري أثناء حديثه عن الأقاليم، أن الخامس "يمر في بلاد الروم على خرشنة، ثم يمر بسواحل الشام مما يلي الشمال، ثم يمر على بلاد الأندلس"[١٦]، لا يبدو هذا الترتيب عشوائيا، أو خطأ من المؤلف، بل له أكثر من دلالة جغرافية لا يسع مجال الدراسة في تناولها، وما يهمنا هو وجود فصل مجالي بين الأندلس والروم.

٢/١-إشارة الإدريسي

تنعدم أي إشارات أخرى متعلقة باللاتينية بعد البكري، ولن تظهر إشارة أخرى إلا بعد حوالي قرن من الزمن، عند الشريف الإدريسي (ت. ٥٦٠ هـ) الذي أورد إشارة جد مهمة في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عند حديثه عن مدينة قفصة، جاء فيها: "وأهلها متبربرون وأكثرهم يتكلم باللسان اللطيني الإفريقي"[١٧]، تعتبر هذه الإشارة جد مهمة، إذ تشير إلى أن أهالي قفصة، متبربرون، أي من البربر أو البرابر، وأن لسانهم (لهجتهم) هي اللاتينية الإفريقية. لا يضيف الشريف الإدريسي أي معطيات أخرى تتعلق بهذا الأمر، وبالعودة إلى كلمة لسان يتأكد من أنها تعني اللغة واللهجة ولا تعني الحرف والخط، وبالتالي يجوز السؤال عن سبب الربط بين البربرية الإفريقية واللاتينية؟

إضافة لهذا فإن كثيرًا من الأسئلة تطرح نفسها: إذ لماذا لم يورد الإدريسي اللاتينية أو ما يدل عليها في أي موضع آخر؟ لماذا سكتت المصادر التي أرخت لهذه الفترة عن هذا المعطى؟ وما العلاقة بين الإفريقي واللطيني؟ ألا يفترض أن اللسان اللاتيني (اللطيني) ينتمي لشمال المتوسط، فما علاقته بقفصة التي تنتمي لجنوب المتوسط (حسب السردية الرسمية دائمًا)؟

كيف لم يسجل الإدريسي حضور اللاتينية في أوروبا وأفريقيا وهو الذي تعلم في قرطبة وعاش في صقلية (حسب السردية الرسمية)، وهي مناطق تعتبر "لاتينية"؟ بل إن كتابه كان إهداء لملك إيطالي ومع ذلك لا يشير لأي حضور للاتينية؟ كيف يتجاهل الإدريسي هذا المعطى اللساني المهم وهو الذي اهتم بتدوين كل المظاهر الثقافية (بالمفهوم الشامل للثقافة) للشعوب موضوع كتابه؟ ثم ما سبب عدم وجود أي طبعة لاتينية من كتاب الشريف الإدريسي الذي قدمه للملك الإيطالي روجر الثاني إلى غاية القرن السابع عشر، علما أن النسخة العربية المطبوعة منه صدرت سنة ١٥٩٢؟

ثانيًا: اللاتينية في المصادر العربية بعد القرن (السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي)

ستتوالى الإشارات إلى اللاتينية بعد القرن (السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي)، ويمكن تقسيم حضور اللاتينية في المصادر العربية الإسلامية خلال هذه الفترة إلى مستويين، تعلق الأول منها باجترار ما ورد في المصادر السابقة خاصة إشارتي البكري، أما المستوى الثاني فقد قدم معطيات تاريخية أو جغرافية جديدة.

١/٢-اجترار الإشارات السابقة

إشارتي البكري

إشبيلية: وردت الإشارة إلى إشبيلية في كتب الجغرافيا والموسوعات الجغرافية، حيث أوردها الحميري (ت ٩٠٠ هـ) في كتابه الروض المعطار في خبر الأقطار، بنفس الصيغة التي أوردها البكري ولم يضف

أي جديد لها، ف"اشبيلية مدينة بالأندلس جليلة بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام ومن الأميال ثمانون، وهي مدينة قديمة أزلية يذكر أهل العلم باللسان اللطيني أن أصل تسميتها إشبالي معناه المدينة المنبسطة ويقال إن الذي بناها يوليش القيصر وإنه أول من تسمى قيصر"[١٨]. كما اجتر نفس الإشارة في كتابه "صفة جزيرة الأندلس" حول إشبيلية دون أي إضافات أو تعديلات[١٩]

طليطلة: يجتر الحميري رواية البكري بخصوص طليطلة دون أي إضافات أخرى، حيث أورد ما نصه: "وزعموا أن معنى طليطلة باللطيني " تولاطو " – معناه " فرح ساكنها " يريدون لحصانتها ومنعتها"[٢٠]؛ وأضاف في صفة جزيرة الأندلس: "فرح ساكنوها، يريدون لحصانتها ومنعتها"[٢١].

إشارة الإدريسي

رغم أن الحميري يجتر نفس معطيات الإدريسي، حول قفصة لكنه يقدم بعض المعطيات الإضافية المهمة، حيث أورد عن قفصة: "وكان على أحد أبوابها كتابة منقوشة في حجر من عمل الأول ترجمت فإذا هي: هذا بلد تحقيق وتدقيق وتدنيق. وكذلك ليس بإفريقية حريم أجمل من حريم قفصة.. وأهل قفصة يتنافسون في المياه كلها ويتبايعون سقيها بأعلى ثمن، وأكثرهم يتكلم باللسان اللطيني الإفريقي. ومدينة قفصة مركز البلاد الدائرة بها"[٢٢]. تعتبر هذه الرواية مهمة، إذ أكد الحميري فيها انتماء قفصة لإفريقية، ووجود كتابة قديمة فيها، وهي مركز البلاد فيها، حيث يوجد اللسان اللطيني الأفريقي، لكنه لا يشير هل هذه الكتابة تتعلق باللسان اللطيني، أم أنها كتابة بخط ولسان آخر.

أيًا كان الجواب، فسيكون مناقضا للسردية الرسمية، إذ لو افترضنا أن هذه الكتابة القديمة هي اللاتينية أو اللسان اللطيني الأفريقي، فسنخلص إلى أن الحرف اللاتيني هو حرف أفريقي، كان لسانا لمنطقة مهمة تشكل قفصة مركزها أو عاصمتها، وبالتالي نصبح أمام القول بالأصول الأفريقية للحرف اللاتيني، وهو ما ينافي السردية الرسمية التي تقول بالأصل الأوروبي للسان اللاتيني. أما إذا كانت الكتابة بحرف آخر، فسيدفع هذا إلى القول بأن اللسان الأفريقي اللطيني لسان طارئ ومستحدث، وأنه إلى ما بعد القرن السابع الهجري، لم يعرف طريقه للتشكل بعد ككتابة، وفي هذا مأزق كبير للسردية القائمة.

٢/٢-معطيات جديدة

معطيات بشرية

أوردت المصادر العربية اللاتينية مقترنة بترجمة "الشاطبي أبو محمد القاسم بن فيره"، الذي يعتبر واحدا من أشهر علماء القراءات في الأندلس وبلاد الغرب الإسلامي على العموم، حيث جاء في معرض ترجمته عند الشارعي "وفيره: بكسر الفاء وسكون الياء المثناة من تحت، وتشديد الراء المهملة المضمومة، وهو بلغة اللطينى من أعاجم الأندلس، ومعناه بالعربي: الحديد"[٢٣]. وقد وردت نفس الترجمة بنفس اللفظ والمعنى عند ابن خلكان في وفيات الأعيان[٢٤]، وكذلك عند نكث الهميان[٢٥]، ولا تتضمن هذه الإشارات أي معطيات إضافية باستثناء الإشارة إلى أن اللطيني هو لغة بعض من أعاجم الأندلس. وفق هذا المعطى، ينحصر مجال لاتينية الأندلس في أنها لسان بعض من أعاجمها، ويتأكد افتراض أننا أمام نوعين من اللاتينية، الأولى لسان برابرة قفصة الأفريقية وهي اللاتينية الأفريقية، والثانية لسان بعض من أعاجم الأندلس وهي اللاتينية الأندلسية

معطيات جغرافية

وردت الإشارة إلى عدد من المواقع الجغرافية الجديدة ارتبطت باللاتينية، وقد انفرد الحميري بهذه الإشارات في كتابيه "الروض المعطار" و"صفة جزيرة الأندلس"، لكونه جمع ما تضمنته المصادر السابقة، وقدم عملا جمع بين العمل الموسوعاتي والتلخيص، وبتجميع الإشارات الجغرافية الواردة عند الحميري جاءت كالتالي:

طركونة: أشار الحميري، خلال ترجمته لمدينة أركونة الأندلسية أنه قد "ذكر أهل العلم باللسان اللطيني أن معنى طركونة الأرض المشبهة بالمعجنة، وكانت في قديم الزمان خالية لأنها كانت فيما بين حد المسلمين والروم، والأحناش بها مؤذية كثيرة، ومياهها كثيرة"[٢٦]، كما وردت نفس الإشارة بذات اللفظ في كتابه صفة جزيرة الأندلس[٢٧] بغض النظر على أن طركونة هي الحد بين

بلاد الروم والمسلمين، فإن إشارته تتضمن معطى مهم، وهي أن الأحناش مؤذية وكثيرة، وهي حسب الحميري وبعض المعاجم وغيرها، كل ما يدب على الأرض من حيات وأفاعي وعقارب وغيرها، والمهم في هذا المعطى، أن هذا النوع من الزواحف، يظهر وينتشر في البيئات الحارة، أما أحناش البيئات الباردة فلا تكون مؤذية؛ وبالعودة إلى موقع طركونة الحارة، نجد أن درجة حرارتها لا تتجاوز الثلاثين، فيبدو أن الحديث عن منطقة حرارتها فوق المتوسط على الأقل.

قرمونة: أشار الحميري إلى مدينة قرمونة التي توجد شرق إشبيلية، مشيراً أنها "مدينة كبيرة قديمة وهي باللسان اللطيني: كارب مويه – وهي الكاف والألف والراء والباء المعجمة بواحدة، معناه " صديقي"(٢٨)، كما وردت نفس الإشارة بذات اللفظ في كتابه صفة جزيرة الأندلس(٢٩)

ماردة: أشار الحميري إلى مدينة ماردة، موردا أنه "وتفسير ماردة باللطيني:"مسكن الأشراف"(٣٠)، كما وردت نفس الإشارة بذات اللفظ في كتابه صفة جزيرة الأندلس(٣١).

أريولة: أشار الحميري إلى مدينة أريولة، مورداً أنها "ومدينة أوريولة قديمة أزلية كانت قاعدة العجم وموضع مملكتهم، وتفسيرها باللطيني الذهبية"(٣٢)، كما وردت نفس الإشارة بذات اللفظ في كتابه صفة جزيرة الأندلس(٣٣).

لورقة: أشار الحميري إلى مدينة لورقة، موردا: "وتفسير لورقة باللطيني "الدرع الحصين"، وهذا الاسم وافق معناه لأنها من المعاقل الحصينة"(٣٤)، كما وردت نفس الإشارة بذات اللفظ في كتابه صفة جزيرة الأندلس(٣٥).

الملاحظ أن هذه الإشارات لا تتجاوز الإشارة إلى المقابل في اللسان اللاتيني لأسماء بعض المدن الأندلسية، وهي كلها إشارات عابرة قصيرة، لا يمكن أن تسهم في تشكيل رؤية عن حضور اللسان اللاتيني في هذه المنطقة. الملاحظ أيضاً أن هذه الإشارات اقتصرت على منطقة الأندلس، دون باقي المناطق، وأنها خاصة ببعض من أعاجم الأندلس، وهو ما يقوي فرضية أن اللسان اللاتيني المقصود كان لسان حال مجموعة بشرية موجودة من أعاجم الأندلس خلال هذه الفترة.

معطيات تاريخية

أوردت النصوص بعض الإشارات التاريخية المرتبطة باللاتينية، وبتجميعها وتنظيمها، تم الحصول على الآتي:

الراهب نقولا

تعتبر قصة "نقولا الراهب" الذي أرسله أرمانيوس إلى الناصر من أجل ترجمة أحد كتب الطب، الرواية التاريخية التي وردت فيها الإشارة إلى اللاتينية، وقد جاءت القصة في عدد من المصادر يرجع أقدمها إلى القرن السابع الهجري، رغم أن القصة تدور في فترة الناصر خلال القرن الرابع الهجري بالأندلس. وفيما يلي نسوق الرواية كما وردت عند ابن أبي أصبيعة، مع بيان التعديلات والإضافات الواردة في المصادر الأخرى:

"وكتب أرمانيوس في كتابه إلى الناصر إن كتاب ديسقوريدس لا تجتنى فائدته إلا برجل يحسن العبارة باللسان اليوناني ويعرف أشخاص تلك الأدوية، فإن كان في بلدك من يحسن ذلك فزت أيها الملك بفائدة الكتاب وأما كتاب هروسيس فعندك في بلدك من اللطينيين من يقرأه باللسان اللطيني وإن كشفتهم عنه نقلوه لك من اللطيني إلى اللسان العربي. قال ابن جلجل ولم يكن يومئذ بقرطبة من نصارى الأندلس مَنْ يقرأ اللسان الإغريقي الذي هو اليوناني القديم فبقي كتاب ديسقوريدس في خزانة عبد الرحمن الناصر باللسان الإغريقي ولم يترجم إلى اللسان العربي وبقي الكتاب بالأندلس والذي بين أيدي الناس بترجمة أسطفن الواردة من مدينة السلام بغداد

فلما جاوب الناصر أرمانيوس الملك سأله أن يبعث إليه برجل يتكلم بالإغريقي واللطيني ليعلم له عبيدا يكونون مترجمين فبعث أرمانيوس الملك إلى الناصر براهب كان يسمى نقولا فوصل إلى قرطبة سنة أربعين وثلثمائة وكان يومئذ بقرطبة من الأطباء قوم لهم بحث وتفتيش وحرص على استخراج ما جهل من أسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس إلى العربية وكان أبحثهم وأحرصهم على ذلك من جهة التقرب إلى الملك عبد الرحمن الناصر حسداي بن بشروط الإسرائيلي وكان

نقولا الراهب عنده أحظى الناس وأخصهم به وفسر من أسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس ما كان مجهولا"[٣٦]

ويخالف شمس الدين الذهبي جزئية مهمة في هذه الرواية، فبينما يعتبر ابن أبي أصيبعة أنه لم يكن في البلاد من يعرف اللسان الإغريقي، وصمت على اللسان اللاتيني، يورد الذهبي أنه "وكان بالأندلس من يتكلم به، ثم كاتبه الناصر وسأله أن يبعث إليه برجل يتكلم باليوناني واللطيني، ليعلم له عبيداً، حتى يترجموا له، فبعث إليه براهب يسمى "نقولا""[٣٧] محيلاً بذلك على اللسان اللاتيني. أما الصفدي فيخالف الذهبي، إذ يذكر أن الناصر استقدم نقولا "لأجل كتاب ديسقوريدوس لأنه كان يعرف اللسان اللطيني"[٣٨]

حسب رواية ابن أبي أصيبعة، فإن الهدية جاءت من ملك القسطنطينية إلى الملك الناصر، بكتاب يتضمن تاريخ الروم، وأنه نصحه بأن ينظر من يترجمه من أعاجم الأندلس باللاتينية، لكن لم يجد من يعرف اللسان "اللاطيني" في البلاد فطلب استقدام مترجم أجنبي.

ولا يمكن الوثوق لرواية الذهبي الذي ذكر بوجود من يعرف اللاتينية، والا فما الذي كان سيدعوه (حسب نفس الرواية) إلى طلب مترجمين أجانب لتعليم عبيده؟ فالراجح إذن أن الناصر طلب مترجمين أجانب لعدم وجود مَنْ يتحدث أو يكتب باللسان اللاتيني

الملاحظ أيضًا من هذه الروايات كلها لم تظهر إلا بعد القرن السابع الهجري، وقد كان أول مصدر أشار إليها، هو "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، وهو المصدر الذي لم يتم طبعه إلا سنة ١٨٨٢ بمصر تحت إشراف الألماني "أوغست مولر" وكل الطبعات التي جاءت بعده اعتمدت على طبعة مولر، ولنا أن نتساءل: كيف تسكت المصادر الإسلامية عن واقعة مهمة كواقعة الراهب نقولا طيلة أربعة قرون لم تشر إليها، إلى أن جاء ابن أبي اصيبعة؟ وكيف سكتت المصادر المغربية والأندلسية عن هذه الواقعة وأوردها مصدر شامي؟[٣٩]

اللاتين والإغريق

وردت الإشارة إلى اللاتين بعد القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، في إشارتين عند القلقشندي، متعلقتان بالصراع الإغريقي اللاتيني، حيث أورد في عند حديثه عن ملوك اليوناني وانحدارهم من يونان بن يافث "وتوالى الملك في ولده، وقهروا اللطينيين ودال ملكهم في أرمينية"[٤٠]. وأورد في الإشارة الثانية عن ظهور اللسان اللطيني: "ثم ملك بعده ابنه (بريامش) واتصل الملك في عقب بيقش المذكور وإخوته إلى أن كان منهم كرمنش بن مرسية بن شبين بن مزكة، بعد أربعة آلاف وخمسين لأول العالم في زمن بار بن كلعاد من ملوك بني إسرائيل، وهو الذي ألف حروف اللسان اللطيني ولم تكن قبله[٤١].

وتستوقفنا عنا عدة ملاحظات، نجملها فيما يلي:

الملاحظة الأولى: تحول الصراع من الإغريقي الرومي إلى اللاتيني الإغريقي، فإلى حدود فترة القلقشندي (القرن التاسع الهجري/الخامس عشر ميلادي) كان الصراع روميًا/ إغريقيا، لكن خلال هذه المرحلة سيظهر اللاتين مرادفا للروم، ويصبح الصراع لاطينيا إغريقيًا، وهذا الظهور المتأخر يطرح كثيرا من الأسئلة عن سببه، وعدم وروده في مصادر سابقة، والأهم عن المصادر التي استقى منها القلقشندي مادته هذه حول اللاتين.

الملاحظة الثانية: رغم أن القلقشندي خصص كتابه لفن صناعة الإنشاء لفن الكتابة، وأفرد حيزا مهما للأقلام واللغات، فإنه لم يشر للقلم اللاتيني وكل ما ورد في إشاراته حول تأليف حروف اللسان اللاتيني، في مرحلة لاحقة لتكون اللاطين الذين انهزموا أمام أبناء "يونان"، ولعل هذا ما يوجب التساؤل عن سبب غياب الإشارة للقلم اللاتيني، وكيف يعقل أن يتجاهلها القلقشندي وقد أفرد جانبا لكل الأقلام المعروفة وقته؟ كما أنه ألح على الكتاب بمعرفة الأقلام المعروفة في وقتهم؟ فهل كان القلم اللاتيني غير موجودا؟ أو ليس مهما؟ إن صمت القلقشندي عن القلم اللاتيني وتجاهله الكامل له، باستثناء الإشارتين السابقتين واللتين وردتا خلال الحديث عن ظهور الإغريق واعتبار اللاتين مجموعة بشرية طارئة، تأسست حروف لسانهم في وقت لاحق دون أي تفاصيل إضافية، يمكن أن يعد مؤشرا على الغياب أو الهامشية على الأقل للحرف اللاتيني.

ثالثًا: السردية الخلدونية

يشكل ابن خلدون محطة مهمة في تاريخ السردية اللاتينية، ولابد من تخصيص مجال منفرد لها، وذلك أنه جاء في مرحلة تاريخية انقلبت فيها موازين القوى صوب شمال البحر الأبيض المتوسط، وغدت أوروبا قوة صاعدة تشكل سرديتها التاريخية الخاصة، في حين بدأ نجم الحضارة العربية الإسلامية بالأفول، وسنورد أغلب النصوص التي وردت فيها اللاتينية واللاتين عنده(٤٢) ثم تسجيل بعض الملاحظات والتعليقات حولها.

النص الأول: ورد اللاتين واللاتينية في مقاطع متعددة عند ابن خلدون، وأول ورودها تعلق بالإنجيل إذ أورد: "ثم كتبوا الإنجيل الذي أنزل على عيسى صلوات الله عليه في نسخ أربع على اختلاف رواياتهم فكتب متى إنجيله في بيت المقدس بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدي منهم إلى اللسان اللاتيني وكتب لوقا منهم إنجيله باللاتيني إلى بعض أكابر الروم وكتب يوحنا بن زبدي منهم إنجيله برومة وكتب بطرس إنجيله باللاتيني ونسبه إلى مرقاص تلميذه واختلفت هذه النسخ الأربع من الإنجيل"(٤٣).

النص الثاني: يفرد ابن خلدون نصا آخر لتاريخ الخط اللاتيني، ففي الفصل الخامس والثلاثون من الجزء الأول الذي خصصه لـ "المقاصد التي ينبغي اعتمادها بالتأليف وإلغاء ما سواها، وقد جاء في هذا النص: "ثم الكتابة مختلفة باصطلاحات البشر في رسومها وأشكالها، ويسمى ذلك قلما وخطا... ومنها الخط اللطيني، خط اللطينيين من الروم، ولهم أيضًا لسان مختص بهم. ولكل أمة من الأمم اصطلاح في الكتاب يعزى إليها ويختص بها..... وأما اللطيني فكان الروم، وهم أهل ذلك اللسان، لما أخذوا بدين النصرانية، وهو كله من التوراة، كما سبق في أول الكتاب، ترجموا التوراة وكتب الأنبياء الإسرائيليين إلى لغتهم، ليقتنصوا منها الأحكام على أسهل الطرق. وصارت عنايتهم بلغتهم وكتابتهم آكد من سواها"(٤٤).

النص الثالث: يفصل ابن خلدون في تاريخ الروم واليونان وأنسابهم حيث أورد في الجزء الثاني من كتابه العبر: "ثم إن المحققين ينسبون الروم جميعا إلى يونان الإغريقيون منهم والطينيون... ونسب الروم اللطينيين فيهم ولم يعين نسبهم في أحد من الخمسة ... ونسب القوط الى ماداي بن يافث وجعل من إخوانهم الأرمن، ثم نسب القوط مرة أخرى إلى ماغوغ بن يافث وجعل اللطينيين من إخوانهم في ذلك النسب ... واسم الغريقيين عنده يشمل أبناء يونان كلهم كما ذكره، وينوع الروم إلى الغريقيين واللطينيين...وإن الشعوب الثلاثة من ولد يونان، فالإغريقيون من ولد أغريقش بن يونان والروم من ولد رومي بن يونان واللطينيون من ولد لطين بن يونان، وإن الإسكندر من الروم منهم والله أعلم"(٤٥).

النص الرابع: وجاء في نص آخر: "هؤلاء اليونانيون المتشعبون إلى الغريقيين واللطينيين- كما قلناه- اختصوا بسكنى الناحية الشمالية من المعمور مع إخوانهم من سائر بني يافث كلهم كالصقالبة والترك والافرنجة من ورائهم وغيرهم من شعوب يافث، ولهم منها الوسط ما بين جزيرة الأندلس إلى بلاد الترك بالمشرق طولا وما بين البحر المحيط والبحر الرومي عرضا، فمواطن اللطينيين منهم في الجانب الغربي ومواطن الغريقيين منهم في الجانب الشرقي والبحر بينهما خليج القسطنطينية. وكان لكل واحد من شعبي الغريقيين واللطينيين منهم دولة عظيمة مشهورة في العالم.... وكانت شعوب هذه الأمة قبل الفرس والقبط وبني إسرائيل متفرقة بافتراق شعوبها، وكان بينهم وبين إخوانهم اللطينيين فتن وحروب ... ولما فرغوا من شأن أهل فارس وأنفوا ملكهم بالجزى والطاعة صرفوا وجوههم إلى حرب اللطينيين، ثم استفحل أمر الإيشاءيين من الغريقيين ولم يكن قوامهم إلا الجرمونيون، فغلبوهم وغلبوا بعدهم اللطينيين والفرناسيين والأركاديين، واجتمع إليهم سائر شعوب الغريقيين واعتز سلطانهم وصار لهم الملك والدولة. وقال ابن سعيد: إن الملك استقر بعد يونان في ابنه أغريقش في الجانب الشرقي من خليج قسطنطينية، وتوالى الملك في ولده وقهروا اللطينيين والروم ودال ملكهم في أرمينية ... وانفرد الاغريقيون برئيس لهم، وصنع مثل ذلك اللطينيون، إلا أن اللقب بملك الملوك كان لملك الروم، ثم ملك بعده ابنه مطريوش فحمل الإتاوة لملك الفرس لاشتغاله بحرب اللطينيين والإغريقيين..."(٤٦)

النص الخامس: "وجمع سبعين من أحبار اليهود ترجموا له التوراة من اللسان العبراني الى اللسان الرومي واللطيني، ثم هلك فلديغيش لثمان وثلاثين سنة من ملكه"(٤٧).

النص السادس: "الخبر عن اللطينيين وهم الكيتم المعرفون بالروم من أمم يونان وأشياعهم وشعوبهم وما كان لهم من الملك والغلب وذكر الدولة التي فيهم للقياصرة وأولية ذلك ومصايره هذه الأمة من أشهر أمم العالم وهي ثانية الغريقيين عند هروشيوش ويجتمعان في نسب يونان، وثالثتهم عند البيهقي ويجتمعون في نسب يونان بن علجان بن يافث، واسم الروم يشملهم ثلاثتهم لما كان الروم أهل المملكة العظمى منهم، ومواطن هؤلاء اللطينيين بالناحية الغربية من خليج القسطنطينية إلى بلاد الافرنجة فيما بين البحر المحيط والبحر الرومي من شماليه. وملك هذه الأمة قديما كانت لهم مدينة اسمها طروبة، وذكر هروشيوش أن أول من ملك من اللطينيين ألفنس بن شطرنش بن أيوب وذلك لعهد دائرة بني إسرائيل وقد مر ذكرها في آخر الألف الرابع من مبدإ الخليقة. وملك من بعده ابنه بريامش واتصل الملك في عقب الفنس هذا وإخوته وكان منهم كرمنس بن مرسية بن شيبن بن مزكة الذي ألف حروف اللسان اللطيني وأثبتها ولم تكن قبله، وذلك على عهد يؤاثير بن كلعاد من حكام بني إسرائيل بعد أربعة آلاف وخمسين من مبدإ الخليقة"(٤٨).

النص السابع: "الخبر عن ملوك القياصرة من الكيتم وهم اللطينيون ومبدأ أمورهم ومصاير أحوالهم، لم يزل أمر هؤلاء الكيتم وهم اللطينيون راجعا إلى الوزراء منذ سبعمائة سنة، كما قلناه من عهد بناء رومة أو قبلها بقليل كما قال هروشيوش، تقترع الوزراء في كل سنة فيخرج قائد منهم إلى كل ناحية كما توجبه القرعة فيحاربون أمم الطوائف ويفتحون الممالك. وكانوا أولا يعطون إخوانهم من الروم اليونانيين طاعة معروفة بعد الفتن والمحاربة، حتى إذا هلك الإسكندر وافترق أمر اليونانيين والروم وفشلت ريحهم وقعت فتنة هؤلاء اللطينيين وهم الكيتم مع أهل أفريقية، واستولوا عليها مرارا وخربوا قرطاجنة ثم بنوها كما ذكرناه"(٤٩).

رابعًا: مناقشة السردية الخلدونية

لقد تعددت النصوص التي وردت فيها اللاتينية أو اللاتين أو اللاطين، وهي نصوص سمتها التناقض والاضطراب، وكأن كاتبها لم يكن واحدا، ولا نعلم هل مرد الأمر إلى منهج ابن خلدون في تدوين التاريخ والنقل منه، أم لاضطراب النساخ والنسخ؟ أم أن الأمر ربما كان تجميعًا لشذرات منسوبة إليه فقط؟ أيًا كان الحال، ومن خلال النصوص الواردة أعلاه يمكن تسجيل الآتي:

يحيل ابن خلدون عند حديثه عن تاريخ الروم أو اليونان أو غيرهم على المؤرخ هروشيوش المعروف بأوروسيوس، ومن المعروف أن ابن خلدون قد نسب إليه مرارا ما ذكره، عن تاريخ الروم والاغريق واللاتين وغيرهم، وقد تمت الإشارة سابقا إلى قصة ابن جلجل الذي كان أول من أورد تاريخ اوروسيوس وترجمته في عهد الناصر وغيرها، مما يستلزم دراسة خاصة لأهمية هذا المصدر وما نسب إليه، لكن الإشكال يظل بأي لغة نقل عنها ابن خلدون، فإذا كان قد نقله باللاتيني، فإن النسخة اللاتينية كتبت في زمن متأخر، كما ان هذا النقل يفترض أن ابن خلدون كان عالما بهذه اللغة، وإذا ما افترضنا هذا الأمر، فكيف له أن يتجاهل الخط اللاتيني ولا يفصل فيه وهو ينقل منه؟ اما إذا كان نقله بناء على النسخة العربية، فإن الأمر لا يخلو من جملة إشكاليات أبرزها أن النسخة العربية الوحيدة التي وجدت للمخطوط تختلف اختلافا بينا عن النسخة اللاتينية؟ وأنها متأخرة زمنيا عن وقت ابن خلدون؟

يشير ابن خلدون في النص الأول إلى أن أغلب الأناجيل جرت كتابتها باللاتينية، وقد انفرد بخبر نقل يوحنا ابن زبدي للإنجيل باللاتينية، وهو خبر لم تنقله أي من المصادر العربية الإسلامية قبله، بل إنه خالف ما ورد حتى في بعض المصادر بعده، فالمقريزي مثلا أورد حول إنجيل يوحنا: "ألفه يوحنا ابن زبدي تلميذ المسيح بعد رفعه بثلاثين سنة، وكتبه باليونانية في بلد آسية، وهو نحو أربع وعشرين ورقة، ويوحنا هذا هو الذي ترجم إنجيل متى من العبرانية إلى اليونانية"(٥٠)

وعلى غرار الملاحظة السابقة، لا يوضح ابن خلدون مصدر خبره هذا، ولا من أين استقاه، بل يقدمه كحقيقة ثابتة لا مجال فيها للظن، وهو ما يطرح كثيرا من الأسئلة حول هذه الرواية، بل إن غياب ما يسندها من روايات وأخبار يدفع إلى تضعيفها، وانفرادها بلفظة اللاتيني التي لا يوجد ما يدعمها حتى عند المؤلف نفسه يدفع إلى تضعيف هذا الخبر.

أما النص الثاني الذي خصصه للخطوط والخط اللاتيني، ففيه جملة ملاحظات وتساؤلات، يمكن إجمالها فيما يلي:

الملاحظة الأولى: يؤكد ابن خلدون في هذا النص ما ورد سابقا من التمييز بين الكتابة واللسان، وأن الكتابة أو الحرف يعرفان بالقلم والخط وليس باللسان، ويميز بين اللغة واللسان والعبارة من جهة، والقلم والخط والكتابة من جهة أخرى. يعضد هذا الأمر التساؤلات السابقة حول عدم الإشارة في المصادر العربية الإسلامية إلى القلم اللاتيني وغيابه، وتشكل اللسان اللاتيني بشكل محتشم.

الملاحظة الثانية: يشير ابن خلدون الى أن اللطينين من الروم لهم لسان وخط مختص بهم، وقد كان بذلك النص الأول في المصادر العربية الذي يتحدث عن الخط اللاتيني عوض اللسان فقط، ونفهم من هذا الكلام، أنه لم يكن خطا لكل الروم، بل لبعضهم فقط، وبالتالي وجود فرق بين الروم واللاتين، وهو ما يدحض الرأي الذي يعتبر أن اللاتين هم الروم، وأن الخط اللاتيني هو الرومي.

الملاحظة الثالثة: يحدد ابن خلدون الخطوط المعروفة والمستعملة في ثلاثة خطوط وهي: السرياني والعربي والعبري، ورغم إشارته إلى اللاتيني إلا أن الإشارة كانت عابرة، ولم يتوقف عنده نفس توقفه عند الخطوط الأخرى. وهنا يجب التساؤل: كيف لابن خلدون الذي نشأ في القرن الخامس عشر على الضفة الجنوبية للمتوسط في فترة اتسمت باتساع الغزو الايبيري له، أن يتجاهل الخط اللاتيني الذي غدا أساسيًا ومهمينا في المنطقة؟ ألا يفترض أن يهتم ابن خلدون (رجل الدولة في المغرب الأقصى وتونس ومصر) بالخط اللاتيني أكثر من اهتمامه بالسرياني لأنه كان على احتكاك مباشر بهذه الثقافة؟ فلماذا تجاهلها؟ وقلل من أهميتها؟ ولم يفرد لها مجالاً مهما؟ وهو الذي اشتغل في البلاط المريني الذي عرفت تغلغلاً مسيحيًا مهما خلال هذه المرحلة؟

الملاحظة الرابعة: لا يشير ابن خلدون إلى تاريخ ترجمة التوراة وغيرها من كتب الأنبياء الإسرائيليين إلى اللاتينية، بل يكتفي بإيراد المعلومة دونما تدقيق، لكن المعطى المهم في هذه الرواية، إشارته أن اهتمام اللاتين بلغتهم لم يبدأ إلا بعد ترجمة الكتاب المقدس إليها، وهذه إشارة جد مهمة تؤكد أن كتابة اللاتينية طارئة، حكمتها خلفية دينية من أجل ترجمة الكتاب المقدس. يبدو واضحًا من خلال النص الثالث الاضطراب في تحديد نسب اللاتينيين، إذ أنه يجعل الإغريق واللطينيين من الروم وكلهم منسوبون إلى يونان، ثم يجعل كيتم من أبناء يونان، وينسب اللاطنيين إلى يونان دون أن يحدد نسبهم، ثم يعتبرهم إخوانا للقوط ومن نسب واحد معهم، ثم يجعلهم من نسب رومي ابن يونان وأنهم أخوة للإغريق؛ وهو ما يؤكد أنه إلى زمن ابن خلدون (القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي) لم يكن تصور واضح عن أصول اللاتين.

ويخلف النص الرابع ملاحظتين أساسيتين، إذ يشير ابن خلدون إلى أن اليونانيين (إغريقًا ولاطينيين) يسكنون في شمال المعمور مع باقي إخوان يافث، ما بين الأندلس إلى بلاد الترك، وأنهم يستوطنون الجهة الغربية في مقابل الغربية للإغريق؛ ويبدو الارتباك واضحا في هذا الخبر الذي انفرد به ابن خلدون حيال هذه التحديدات والمناطق التي تشملها، ما يؤشر على أن اللاطنين كجماعة إثنية لم تكن ذات ملامح محددة أو ظاهرة. من جهة أخرى فإن ابن خلدون عندما أشار إلى حروب الإغريق واللطينين والروم، والمعارك التي دارت بين الثلاثة، أقام تمايزا بين الثلاثة، وفي نفس الرواية جعل الروم في مواجهة اليونان التي تتكون من الإغريق واللاتين، وهو بهذا ينسف فرضية أن اللاتين هم الروم، ويؤكد خطأ هذا الافتراض، بل إننا هنا أمام ثلاث مجموعة بشرية مختلفة بينها حروب وعداوات.

ونسجل في النص الخامس ملاحظة أساسية وهي أن التوراة ترجمت إلى اللسانين الرومي واللاتيني، وباعتبار ما أقامه ابن خلدون من تمييز سابق بين اللسان

والقلم، ويبدو واضحا أن الحديث في هذا النص حول اللسان وليس القلم، كما أن هذا النص يميز بين اللسان الرومي واللسان اللاتيني.

أما النص السابع فقد تضمن رواية أخرى نسبها إلى جماعة من الإخباريين دون أن يحددهم، ويرجع فيها أصل الروم إلى ولد عيصو بن إسحاق ابن إبراهيم عليهما السلام، وهو خبر لا يجد مستندا في أي مصادر معاصرة، انفرد به ابن خلدون، لكن الإشارة الأهم التي يوردها تتعلق بهروب صفوا إلى الكيتم حيث عظم وحسن في أهل أفريقية، وإذا ما ربطنها باللاتيني الإفريقي، ومنطقة قفصة التي توجد في أفريقية، فيمكن اعتبار هذه الإشارة قد تكون دلالة على الأصول الأفريقية للاتينية.

ولعل أول ملاحظة تبدو في النص الثامن أن ابن خلدون يعوض الروم بالكيتم في حرب قرطاج، وبغض النظر عن مصداقية الرواية ككل، فإن لهذا التغيير دلالة مهمة، وهي أن مفردة اللاتينين لم تكن قد ظهرت آنذاك، كما أن الحرب اندلعت بين أهل النوبة والروم، وهي مؤشرات كلها تدفع إلى طرح التساؤلات حول العلاقة بين أفريقية واللاتينيين (اللاطينيين). إن هذه المعطيات التي وردت مضطربة ومتضاربة، تؤكد أنه إلى وقت ابن خلدون (القرن الخامس عشر) لم تكن قد نضجت السردية اللاتينية (عند الطرف النقيض على الأقل) إضافة الى ورود أغلب روايات ابن خلدون مقترنة بالبعد الافريقي، وهو ما يطرح السؤال حول العلاقة بينهما.

خَاتِمَةٌ

انطلاقًا من سبق يمكن القول إنه إلى حدود نهاية القرن (السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)، لم تسجل اللاتينية حضورا في المصادر العربية الإسلامية، باستثناء ثلاث إشارات عابرة، تحيل إلى وجود لاتينيتين واحدة أفريقية والأخرى أندلسية؟ وترتبط بالأندلس أكثر من ارتباطها بباقي أوروبا، وتحيل على اللهجة أكثر من إحالتها على الكتابة، أما ما عداها فالصمت التام والغياب التام للغة يفترض حسب السردية الرسمية أنها كانت مهيمنة على المجال وحاضرة فيه سابقا، وأنها كانت ركنا أساسيا في النهضة الأوروبية في مرحلة لاحقة، وهو ما يطرح علامات الاستفهام حول هذه السردية ككل.

أما النصوص المصدرية بين أواخر القرنين السادس وبداية (التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي)، فتؤكد فرضية أن اللاتينية ارتبطت بأعاجم الأندلس، دون سواهم، مع احتمال وجود أصل أفريقي للحرف اللاتيني أو أنه مجرد حرف طارئ. خلال هذه المرحلة أيضًا بدأت تتشكل البوادر الأولى للسردية اللاتينية، اعتمادا على وقائع منسوبة للقرن الرابع الهجري، كما أنه لحدود هذه المرحلة لم يوجد أي أثر للخط أو القلم اللاتيني، في نفس الفترة أيضًا جرى استبدال الروم باللاتين في صراعهم مع الإغريق.

وبعد القرن (السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي)، توالت الإشارات إلى اللاتينية، في المصادر العربية الإسلامية، وقد انقسمت إلى قسمين، واحد يجتر ما ورد في المصادر السابقة خاصة إشارتي البكري، والثاني قدم معطيات تاريخية أو جغرافية جديدة تؤكد أن اللاتينية كانت لغة بعض من أعاجم الأندلس. وهو ما يعضد افتراض أن اللاتينية كانت نوعان، الأولى لسان برابرة قفصة الأفريقية وهي اللاتينية الأفريقية، والثانية لسان بعض من أعاجم الأندلس وهي اللاتينية الأندلسية، أما رواية ابن جلجل التي تم الاعتماد عليها لتبرير قدم اللاتينية، فالملاحظ أنها لم تظهر إلا بعد القرن السابع الهجري.

على مستوى الروايات التاريخية، تحول الصراع من الإغريقي الرومي إلى اللاتيني الإغريقي، في المصادر العربية الإسلامية، مع القلقشندي وهو تحول طارئ وغير مفهوم، كما أنه في نفس الفترة التاريخية بدأت تتأسس السردية اللاتينية، والملاحظ في نصوص ابن خلدون أنها تعددت وتنوعت حيث اتسمت بالتنوع والاضطراب والتناقض، كما أن ابن خلدون حافظ على التمييز بين الكتابة واللسان، وأن الكتابة أو الحرف يعرفان بالقلم والخط وليس باللسان، وميز بين اللغة واللسان والعبارة من جهة، والقلم والخط والكتابة من جهة أخرى. كما أظهرت نصوص ابن خلدون بعض الإشارات المرتبطة بمجال جغرافي مختلف للاتيني، كالارتباط بالكيتم وبصفوا الأفريقي.

تظهر كل هذه المعطيات على أن سردية اللغة اللاتينية تعرف ثغرات عديدة، ولا يبدو أي حضور لها في المصادر العربية الإسلامية الطرف المقابل لها، كما تبدو هذه السردية متناقضة وغير متماسكة، ما يؤكد على أنها إلى حدود القرن الخامس عشر لم تكن قد عرفت تأسيسها بعد، أو على الأقل أنها لم تكن من الأهمية والحضور الذي يفرضها على المصادر العربية الإسلامية، بما فيها الأندلسية، التي اقترنت اللاتينية بها في هذه المصادر.

خلاصة القول، أنه إذا كان لوغوف قد تساءل هل وجدت أوروبا الوسيطية، فإن الأكيد أن اللغة اللاتينية لم توجد بالصيغة المقدمة بها حاليا في المصادر العربية الإسلامية، إلا بعد القرن السادس عشر، ما يعني أن تقابل الشرق والغرب، ظل ناقصًا، أو غير كامل، أو أن سردية الوجود الأوروبي ككل تحتاج للقراءة من جديد.

الاحالات المرجعية:

(١) جاك لوغوف، **"هل ولدت أوروبا في العصر الوسيط"**، ترجمة محمد حناوي ويوسف نكادي، مطبعة مفكر، وجدة المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠١٥، ص ١٠.
(٢) نفسه، ص ١٠.
(٣) رغم أن مدرسة الحوليات شكلت فتحا جديدا في العلوم التاريخية، وأسهمت في تطوير مناهجه إلى حد كبير، إلا أن علاقته بالتصورات والمنطلقات الكولونيالية، لم توضع على محك النقد، إذ أعتقد أنها وعلى تطورها المنهجي لم تكن سوى وجه آخر من أوجه الكولونيالية، أو مركزية الرجل الأوروبي.
(٤) أبو عبيد البكري، **"المسالك والممالك"**، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢، الجزء الثاني، ص ٩٠٢.
(٥) نفسه، ص ٩٠٧.
(٦) نفسه، ص ٣٠٨.
(٧) نفسه، ص ٣١٦.
(٨) نفسه، ص ٥١٢.
(٩) نفسه، ص ٥٢٣.
(١٠) نفسه، ص ٦٢٨.
(١١) نفسه، ص ١١٣.
(١٢) نفسه، ص ١٠٧.
(١٣) نفسه، ص ٣٣٤.
(١٤) نفسه، ص ٤٤٨.
(١٥) نفسه، ص ٦٦٥.
(١٦) نفسه، ص ١٨٥.
(١٧) الشريف الإدريسي، **"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"**، عالم الكتب، بيروت–لبنان، ١٤٠٩، الجزء الأول، ص ٢٧٨.
(١٨) عبد المنعم الحميري، **"الروض المعطار في خبر الأقطار"**، تحقيق عباس إحسان، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠، ص ٥٨.
(١٩) عبد المنعم الحميري، **"صفة جزيرة الأندلس"**، تصحيح وتعليق ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٨، ص ١٨.
(٢٠) الحميري، **الروض** ... مرجع سابق، ص ٣٩٤
(٢١) الحميري، **صفة** ... مرجع سابق، ص ١٣٣؛ الحميري، **الروض**...، ص ٣٩٤
(٢٢) الحميري، **الروض** ...، مرجع سابق، ص ٤٧٨
(٢٣) موفق الدين أبو محمد بن عبد الرحمن، ابن الشيخ أبي الحرم مكيّ بن عثمان الشارعي الشافعي، **"مرشد الزوار إلى قبور الأبرار"**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، ٦٣١.
(٢٤) شمس الدين ابن خلكان، **"وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"**، تحقيق إحسان عباس، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، ١٩٧١، ص ٧٢.
(٢٥) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، **"نكت الهميان في نكت العميان"**، تعليق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص ٢١٣.
(٢٦) الحميري، **الروض** ... مرجع سابق، ص ٣٩٢.
(٢٧) الحميري، **صفة** ... مرجع سابق، ص ١٢٦.
(٢٨) الحميري، **الروض** ... مرجع سابق، ص ٤٦١.
(٢٩) الحميري، **صفة** ... مرجع سابق، ص ١٥٨.

(٣٠) الحميري، **الروض** ... مرجع سابق، ص ٥١٨.
(٣١) الحميري، **صفة** ... مرجع سابق، ص ١٧٦.
(٣٢) الحميري، **الروض** ... مرجع سابق، ص ٦٧.
(٣٣) الحميري، **صفة** ... مرجع سابق، ص ٣٤.
(٣٤) الحميري، **الروض** ... مرجع سابق، ص ٥١٢.
(٣٥) الحميري، **صفة** ... مرجع سابق، ص ١٧٢.
(٣٦) أبو العباس ابن أبي أصيبعة، "**عيون الأنباء في طبقات الأطباء**"، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت، ص ٣٩٣-٣٩٤.
(٣٧) شمس الدين الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣، الجزء ٢٧، ص ٢١٣
(٣٨) صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، "**الوافي بالوفيات**"، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ٢٠٠٠، الجزء ١٣، ص ٢٩٣
(٣٩) إذا ما تبنينا منهج "مدرسة المراجعين الجدد" الاستشراقية، فلن نتوانى عن القول إن الأمر يتعلق برواية "منحولة" كتبت بأثر بعدي وأنها لا تنتمي لزمن الناصر، ولكن ومع الحذر المنهجي الواجب، فإن هذه الرواية تظل محط شكوك كبيرة.
(٤٠) أحمد بن علي القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الجزء الخامس، ص ٣٦٠.
(٤١) القلقشندي، مرجع سابق، الجزء الخامس، ص ٣٦٢.
(٤٢) نظرًا لطول نصوص ابن خلدون فسنقوم باستحضار ما تعلق بشكل مباشر باللاتينية أو اللاتين.
(٤٣) عبد الرحمان ابن خلدون، "**ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**"، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت –لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٨، الجزء الأول، ص ٢٨٩.
(٤٤) نفسه، الجزء الأول، ص ٧٣٠-٧٣١.
(٤٥) نفسه، الجزء الثاني، ص ٢١٨-٢١٩.
(٤٦) نفسه، الجزء الثاني، ص ٢٢٠-٢٢١.
(٤٧) نفسه، الجزء الثاني، ص ٢٢٤.
(٤٨) نفسه، الجزء الثاني، ص ٢٣٢.
(٤٩) نفسه، الجزء الثاني، ص ٢٣٥.
(٥٠) تقي الدين المقريزي، "**إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**"، تحقيق محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٩، الجزء الرابع، ص ١٧٣.